جامعة الانبار / كلية التربية للبنات

الدراسات العليا الماجستير

أ.م.د. يوسف سامي فرحان

ظهور اتجاهات النهضة العربية الحديثة في المشرق العربي

(الاتجاه الديني الاصلاحي – الاتجاه القومي)

بدأت النهضة العربية الحديثة في المشرق العربي منذ اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر و العشرين لتشمل المناطق التي كانت تحت الحكم العثماني ، حيث تضافرت عوامل عديدة داخلية وخارجية ساعدت على ظهور تلك النهضة وتطورها كان من ابرزها :

١–الحملة الفرنسية على مصر .

٢– ارسال البعثات العلمية الى أوربا.

٣– الارساليات التبشيرية في البلاد العربية .

٤–الصحافة.

٥– دور الترجمة والطباعة والجمعيات الادبية والعلمية .

فضلاً عن ظهور شخصيات فكرية عديدة ادت دوراً بارزاً في النهضة العربية الفكرية سواء عن طريق الاتجاه الاصلاحي الديني او الاتجاه القومي والاتجاه الاجتماعي وابرزهم هم :

الاتجاه الديني الإصلاحي

تنامى الوعي الفكري والسياسي لدى العرب نتيجة الى اهتمام المثقفين والمفكرين بماضي شعوبها وحضارتهم وتراثهم الاسلامي ، وظهر ذلك في كتاباتهم التي رفضت الاستبداد والطغيان الامر الذي اثار يقظة الشعب العربي ، لاسيما بعد ان سادت فكرة جمال الدين الافغاني حول استقطاب مجموعة من الشباب المصري وبث فيهم افكاره الداعية الى قيام حركة الجامعة الاسلامية محاولة منه لتوحيد الشعوب الاسلامية .

فبدأ الاطلاع على حضارة الغرب ، وبرز ثلاث اتجاهات فكرية متداخلة وهي الاتجاه المحافظ الذي كان يرى بضرورة الالتزام بتعاليم الدين الاسلامي فقط وعدم التأثر بحضارة الغرب اما الاتجاه الثاني هو الاتجاه الاصلاحي التوفيقي الذي اكد على المزج بين التراث العربي الاسلامي والغربي والتوفيق بينهما ، اما الاتجاه الاخير الاتجاه التجديدي الذ اكد على اقتباس معالم الحضارة الغربية ومنجزاتها ، الامر الذي دفع المفكرين الى محاولة التجديد الديني والاصلاح الاجتماعي .

عبر عن هذا الاتجاه كل من جمال الدين الافغاني ومحمد عبدة ومحمد رشيد رضا الذين دعوا الى التوفيق بين تعاليم الدين الاسلامي ومنجزات العلم الحديث وان ليس هناك تعارض بين نصوص القرآن الكريم وما توصل اليه العلم في العصر الحديث ومن منجزات علمية .

١-جمال الدين الافغاني (١٨٣٩-١٨٩٧) : يعد الفيلسوف الاجتماعي والزعيم السياسي ، من رواد الاصلاح الديني واكثر تأثيراً ، فكان هو وتلاميذه من اكثر المفكرين تحسسا بمدى الخطر الداهم من الغرب على الاسلام ، فدعي الى تغيير واقع المسلمين الديني والسياسي بكل الوسائل المتاحة وتكوين رأي عام وطني في التشجيع على إصدار الصحف والمجلات التي تعبر عن أفكاره ، ويتميز فكره بأنه منهج إصلاحي لا يقف ضد التطور والتقدم ، ويتماشى مع احدث أساليب الحكم ، وتتمحور أفكاره في بناء مجتمع إسلامي متماسك وموحد يأخذ بكل أساليب التقدم والحياة الحديثة التي لا تتعارض وروح الإسلام ، لذلك فإن حركته في مظهرها حركة سياسية ، وفي جوهرها حركة دينية . حيث تمكن من استقطاب مجموعة من الشباب العربي وبث فيهم فكره الجامعة الاسلامية ، التي جاءت كردة فعل للغزو العسكري والفكري الغربي للعالم العربي والاسلامي ،ورأى لابد من اتخاذ الوسائل اللازمة لنهضة صحيحة تقوم على العلم والتربية السليمة والتجديد في مختلف نواحي الحياة ، وان الوحدة الاسلامية هي الطريق الوحيد لمقاومة الغزو الغربي ، فسار على خطاه تلاميذه لمناصرة الدعوة لتحرير المسلمين ومحاربة الظلم والاستبداد ، وهاجم سياسة التتريك ، وادرك ان اللغة هي السبيل الوحيد لجمع الامم

اعتمد الافغاني في فكره على مواجهة الانحلال الديني والاخلاقي في المجتمع الاسلامي والعودة الى مصادر الاسلام شرطاً اساسيا للنهضة والتقدم ، فقد اثارت افكاره موجة من السخط ضد الاحتلال الاجنبي ، لكون منهجه منهج ثوري فيه دعوة الى الاصلاح والثورة على الاوضاع الفاسدة وعلى الحكم الاستبدادي ومهد لأنشاء دولة اسلامية تعيد للإسلام وللدين مجده ، وهاجم الجمود والتقليد واعتبرهما عوائق في طريق النهضة ، ودعا الى الاخذ بالاجتهاد كمنهج جديد للعقيدة ، وقد سار تلاميذه على هذا الاتجاه .

٢- محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥) يعد مصلحاً دينياً ، وفيلسوفا كبيراً بل رائداً للفكر المصري الحديث ، تتلمذ على يد شيخه الأفغاني وأعجب بآرائه، وكانت نقطة البداية في تفكير محمد عبده هي الانحلال الداخلي والحاجة إلى التجديد في الإسلام ، و كان يسعى إلى إقامة المجتمع الصالح ، إذ واجهته في مصر صورتان متباينتان للمجتمع الإسلامي : صورة قديمة أصيلة تعود إلى عهد الرسول(صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين ، وأخرى حديثة متأثرة بالمجتمع المعاصر لذلك كان عليه أن يوفق بين المجتمع الإسلامي الأصيل والمجتمع الذي كان يعيش فيه.

ويعد الشيخ محمد عبده من ابرز مفكري عصره ، وكان تأثيره في الفكر الديني والسياسي واضحاً ، فهو يرى أن ما أصاب المسلمين من انحلال وتراجع يعود إلى الجمود العلمي في البلدان الإسلامية ، لان الإسلام يشجع العلم تشجيعاً ايجابياً، و يعود سبب الجمود إلى ابتعاد المسلمين عن القواعد والأصول الحقيقية لدينهم ، فبدأت فكرة الإصلاح الديني في ذهن محمد عبده بداية مبكرة ، إذ نشر في عام ١٨٧٦مقالاً في صحيفة الأهرام أكد فيه انه لا يكفي دراسة المؤلفات العربية التقليدية في الشرع الإسلامي ، فتكونت لديه فكرة واضحة عن ضرورة إصلاح التعليم الديني في الأزهر، ثم اشترك الشيخ محمد عبده في ثورة عرابي ١٨٨٢وسجن بعدها ثلاثة أشهر، ونفي بعدها ثلاث سنوات خارج مصر ، ثم انتقل إلى باريس بناءاً على دعوة أستاذه الأفغاني واصدر مجلة (العروة الوثقى) ثم عاد إلى مصر بعد ست سنوات عام ١٨٨٨، فأنصرف بالدعوة إلى التجديد الديني وإصلاح المؤسسات والأوقاف والمحاكم الشرعية ،ثم عين فيما بعد في مجلس ادارة الازهر وتولى الافتاء عام ١٨٩٩ واختير عضوا في مجلس الشورى والاوقاف والجمعية الخيرية الاسلامية وغيرها من المناصب الاخرى ، وعلى الرغم من تقلده مناصب عدة لم يغير من موقفه اتجاه الاحتلال ، واستفاد محمد عبده من خطوات الإصلاح الديني التي اتبعها

الأفغاني، ثم أطرها في طروحاته و تفكيره ، إذ افترض أربع مراحل رئيسية لعملية الإصلاح والانبعاث ، هي تحرير العقل من قيود التقليد، و الفهم السليم للدين الإسلامي، و ان السلطة النهائية في كل ما يتعلق بالعقيدة الدينية لا تكمن في المذاهب أو رجال الدين ، بل في القرآن والسنة النبوية ، ودراسة الحقائق الدينية على أسس عقلانية وذلك اخطر ما دعا إليه محمد عبده ، غير أن تلك الدراسة لم تدخل حيز التنفيذ العملي، لان جهوده هو وتلامذته تركزت على إخراج المجتمع المصري عن التقليد الديني دون التعارض مع مبادئ العقيدة الصحيحة، وعليه فقد انصبت جهود محمد عبده على إصلاح مؤسسات التعليم الدينية وعلى رأسها الأزهر.

وارتكزت دعوته على عدة اسس كان ابرزها هي :

١-تطهير الاسلام من البدع والضلالات والعودة به الى اصوله الاولى .

٢- إعادة النظر في عرض المذاهب الإسلامية طبقاً للمفهوم الفكري الحديث ، والتوفيق بين العلم والدين و استعمال العلوم الحديثة في تفسير الآيات القرآنية.

٣- دعا إلى الدفاع عن الإسلام ضد التأثيرات الغربية وضد حملات المبشرين .

فكان محمد عبدة مفكراً إصلاحيا إسلاميا سلفياً توفيقياً في الأخذ من التطور العلمي الحديث ، وسار على هذا التوجه الفكري حتى وفاته عام ١٩٠٥.

٣- محمد رشيد رضا(١٨٦٥ -١٩٣٥) يعد محمد رشيد رضا احد رجال الإصلاح في العصر الحديث ومن الكتاب في الأدب والتاريخ ومن رجال الحركة الفكرية في لبنان ، الذي أدرك ان أمته بحاجة إلى حركة إصلاح وإعادة بناء من جديد بعدما أصابها من نكبات، وكان يرى أن الإصلاح لابد أن يقوم على صفات الصدق والشجاعة ، وعلى المصلحين أن يتخذوها أساسا في تحقيق الأهداف المنشودة ، و تأثر محمد رشيد

رضا بكتابات مجلة (العروة الوثقى) التي أنشأها الأفغاني ومحمد عبده ، فجمع أعدادها وكرر قراءتها وكتبها بيده، . فكان اول من سعى إلى جمع تراث الأفغاني ومحمد عبده وانطلق في هذا المسعى لإعجابه الشخصي بالأفغاني الذي لم يره ، ومصاحبته لمحمد عبده لسنواته الأخيرة في مصر ، اصدر مجلة المنار عام ١٨٩٨ في القاهرة التي تعد من اهم اثاره الفكرية ، قد تضمنت كتابات تاريخية وأدبية وعلمية و تهذيبية تبحث في فلسفة الدين وشؤون العرب .

كان عام ١٩٠٥ نقطة تحول مهمة في تاريخ مجلة المنار وصاحبها محمد رشيد رضا، ففي هذا العام توفي محمد عبده ، فكان ذلك بداية لدخول محمد رشيد رضا في العمل السياسي ، وبدأ رشيد رضا كتابة المقالات في المنار تتضمن أفكارا سياسية طابعها العام الإصلاح السياسي ، وقد أدرك رشيد رضا أن نجاح الإصلاح السياسي في مصر لابد ان تتوفر له شروط ثلاثة ، فلابد أن يكون الحكم شورى ، و العمل على تغير أفكار المصريين وعاداتهم بالتربية والتعليم، وهذا لا يتم إلا بالشرط الثالث وهو ان تتبع الطرق الصحيحة في الإصلاح .

فأكد على اصلاح الامة وتوحيد المسلمين والتصدي للعدوان الخارجي ،و إن الأسس الفكرية التي دعا إليها محمد رشيد رضا قد جمعت بين طريقة الإصلاح عن طريق السياسة التي نادى بها الأفغاني ، وبين طريق الإصلاح عن طريق التربية والتعليم وهي للشيخ محمد عبده وهذا ما أكدته كتابات رشيد رضا في مجلة المنار ، لذا يعد رشيد رضا من أهم الشخصيات الفكرية في تاريخ مصر الحديث التي تأثرت بالدعوة السلفية في مصر والعالم الإسلامي حينذاك والتي اسهمت على قيام نهضة عربية شاملة .

الاتجاه القومي

انطلقت أفكار دعاة الاتجاه القومي من أساس قومي لا يعتمد على الدين ، بل يعتمد على وحدة التاريخ ووحدة اللغة ، وعندما لم يكن للعثمانيين من رابطة تربطهم بالعرب سوى رابطة الدين ، بدأت الأفكار القومية تكتسب قوة بضعف العثمانيين ، وبقي العرب يعتزون بعنصرهم العربي وبتاريخهم.

ومن العوامل التي شجعت على قيام القومية العربية هي :

١- نمو بذور القومية العربية عن طريق الجمعيات المسيحية .

٢- عودة البعثات التعليمية التي وجدت في البلاد الأخرى تفوق وحضارة، الأمر الذي جعلها تنشط من أجل الوصول الى المستوى الذي وصلت اليه الأمم الأخرى .

٣- انتباه الكثير من الزعماء والعلماء والمفكرين لأهمية اللغة وأحيائها ، على اعتبار أن اللغة مظهر من مظاهر الفكر تنهض بنهوضه ، لذلك برزت الدعوة إلى استنهاض اللغة العربية لتحاكي اللغات الأخرى .

نشطت حركة الفكر القومي في بلاد الشام لكنها تأخرت في مصر ، وذلك بسبب الاحتلال البريطاني كان العائق الرئيسي لها ، إذ أخذت حركة المقاومة ضد الاحتلال تسيطر على تفكير المصريين ونتيجة لذلك ولدت القومية المصرية وأخذت تفترق عن القومية العربية ، وأصبحت اللغة العربية لغة قومية ، اخذ الطابع القومي يتجدد ويجري في البناء الفكري والاجتماعي ، و ان تأخر ظهور الفكرة القومية في مصر رغم موقعها ومركزها في العالم العربي ودورها التاريخي ، الا انه فسح المجال لظهور تيارات واتجاهات فكرية متعددة سادت الساحة المصرية لمدة طويلة ولاسيما نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وبالرغم من تأخير الاتجاه القومي العربي في مصر ، إلا أن قبول هذا الاتجاه بدأ سريعا لدى مثقفي مصر ومفكري أهل الشام المهاجرين إلى مصر مما ساهم في تطوير الفكرة القومية العربية في

مصر ، ومن أبرزهم عبد الرحمن الكواكبي ، و برز ذلك واضحا في كتابي(أم القرى) و (مصارع الاستعباد) .

عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨-١٩٠٢). يعد عبد الرحمن الكواكبي من ابرز ممثلي لتيار القومية العربية في مصر، ورائد النهضة الفكرية العربية الحديثة في النواحي الأدبية والسياسية والاجتماعية، نشر عام ١٩٠٠ كتابيه (أم القرى ، طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد) فكان حاله حال المفكرين من أهل الشام الذين اختاروا مصر موطنا لهم ، وان سبب الحرية التي وفرتها الساحة المصرية ، إذ كانت مصر ملاذا آمنا للمفكرين والكتاب والصحفيين من بلاد الشام ، رغبة في الحرية ، ولاسيما الصحف المصرية التي تمتعت بحرية نقد السلطان العثماني والتي كانت شبه ممنوعة في الشام ، لذلك تمكن هؤلاء من التأثير في الحياة الأدبية والفكرية في مصر والبلدان العربية .

فكان الكواكبي من أبرز الداعين إلى الوحدة العربية من منطلق الفكر القومي ، متخذاً من وحدة اللغة والتاريخ والتراث قاعدة أساسية للعمل السياسي والاجتماعي ، إذ أفرد للمسألة الاجتماعية أهمية كبرى ، وتحدث كثيرا عن العدالة الاجتماعية ، وطالب بالحرية والشورى والتحرر من اليأس وبث روح الأمل والثقة في قدرة الشعوب على صنع مستقبلها، كما ركز على الرابطة العربية باعتبارها أكثر ايجابية ووضوحا ، وان العروبة في نظر الكواكبي تشكل الضمانة الرئيسية للمحافظة على جوهر الإسلام .

والكواكبي كشخصية فكرية حقيقية، دفعه موقفه الفكري والعملي إلى تبني الشباب ، تلك القضية التي نجدها محور التفكير السياسي في الفكر العربي ، فالشباب في فكر الكواكبي هم عماد الأمة وهم الأمل والمستقبل لذلك تنبه منذ وقت مبكر إلى أهمية الطلبة النابغين ، وأدخلهم بمدارس خاصة ، وأساتذة مختصين ، فكانت عنايته بداية

لنهضة علمية، فبدأت فكرة القومية العربية تنتشر بين المصريين ، والكواكبي لم يميز فقط بين العرب وغيرهم من الشعوب الإسلامية ، بل كان أول من أعرب عن حقهم في الوجود والتطور المستقلين ، بالتمتع بحقوق الأمة القائدة ، متخذا من إحياء الخلافة العربية رمزا لنزعتهم إلى التحرر القومي من دول الغرب الاستعماري ومن ثم العثمانيين، وقد جاء هذا التأييد عن حق العرب بالخلافة كردة فعل على سياسة عبد الحميد الثاني المرتكزة على فكرة الجامعة الإسلامية والنزعة العثمانية، فان اهتمام الكواكبي واعتزازه بالعروبة كان واضحا في خطاباته وان العرب هم أكفأ الناس لإزالة الضعف بين المسلمين ، وهو يرى أن العرب والإسلام شيئا واحدا وعليه يكون النهوض بأمة الإسلام نهوضا بالعرب على اعتبار أنهم يشكلون نواة الإسلام، وان أي نهوض حقيقي لا يمكن ان يقوم إلا ان يكون مصاحبا بنهضة تعليمية تبدأ بإصلاح اللغة العربية التي يجب ان تكون لغة المسلمين جميعا .

ولما كانت مصر ملجأ للقوميين العرب الذين تعرضوا إلى مضايقات السلطات العثمانية ، فقد أسس مجموعة من المفكرين السياسيين العرب ١٩١٢ حزبا علنيا في مصر هو (حزب اللامركزية العثماني) برئاسة رفيق العظم، احد رجال الحلقة الكبرى للشيخ طاهر الجزائري في دمشق ، ومن الشخصيات الفكرية المصرية التي انضمت إلى الحزب محمد رشيد رضا وغيره من المصريين. لذا فان دراسة الاتجاه القومي من الاتجاهات الهامة لما لها من صلة بالتطور السياسي والاجتماعي

المصادر

١. علي المحافظة ، الاتجاهات الفكرية عند العرب .

٢. لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث .

٣. عبدالعزيز نوار ، النهضة العربية الحديثة .

٤. جورج انطونيوس ، يقظة العرب .

٥. محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية .

٦. فهمي احمد فرحان ، الحركة الفكرية في مصر ١٨٦٩-١٩١٤.